جمال الدين الأفغاني

رائد التنوير

obeikandl.com

obeikandl.com

جمال الدين الأفغاني[١]

رائد التنوير.

أولاً: تمهيد:

يعد جمال الدين الأفغاني، رائداً من رواد اليقظة العربية، وحاملاً مشعل التنوير بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معان ودلالات، وأحد محركي الهمم في الشعوب العربية الإسلامية وباعثاً للنهضة في الشرق، وموقداً نار التمرد والثورة في العقول والقلوب والنفوس وموقظاً الجماهير من سباتها العميق، وأحد الرجال الذين وهبوا حياتهم وعمرهم للدفاع عن الأمة الإسلامية وعقيدتها وأفكارها وحدودها.

وقف ضد الاستعمار وهو في عنفوانه، ومده الكاسح، بكل ما يملك من صحة وقوة، وما استطاع من طاقة، مظهراً ألاعيبه السياسية، وأطماعه الاقتصادية وحيله في السيطرة على مقدرات الشعوب الإسلامية.

استطاع بالموقف الشجاع، والرأي الحر والكلمة المعبرة، والجهاد الطويل، والأفكار الجريئة، والعلم الغزير، أن يضع العالم الإسلامي على عتبات مرحلة جديدة، ويعطي دفعة قوية لكي يقف على قدميه، ويتقدم إلى الأمام مع باقي شعوب العالم. وبالجملة، فالأفغاني أحد الرجال الأفذاذ، الذين يجود بهم الزمان على فترات طويلة، وتبعثهم العناية الإلهية لكي يجددون شباب الإسلام، ويرفعون مبادئه، ويحيون مواته، ويعيدون سيرته الأولى، ومن ثم جاء الأفغاني في منتصف القرن التاسع عشر، يعبر عن العقل العربي المسلم في طوره الجديد، وإقدامه الزاحف، يستشرف عصراً جديداً، من الآمال والأحلام، لغد مشرق وحضارة زاهرة.

---

(١) نشر هذا البحث في مجلة الموافقات التي يصدرها المعهد العالي لأصول الدين،بجامعة الجزائر،العدد(٢)عام ١٩٩٢.

ثانياً: نبذة عن حياته[١]:

ولد الأفغاني، ابن السيد صفتر، في بيت شرف وعلم، بقرية «أسعد آباد» من أعمال كابل بأفغانستان عام (١٢٥٤هـ-١٨٣٩م)، ويتصل نسبه إلى الترمذي المحدث المشهور، والبعض يسير بسلسلة نسبه إلى الحسين بن علي ﷺ[٢].

عني والده بتربيته تربية دينية علمية، فتلقى مبادئ العلوم العربية، وعلوم الشريعة، والعلوم الدينية، من تفسير وحديث وفقه وأصول، وكذلك درس العلوم العقلية، ونعني بها الفلسفة والمنطق، وألم بهذه العلوم إلماماً طيباً، واستوعبها استيعاباً جيداً، ثم سافر إلى الهند لمواصلة الدراسة، والاطلاع على المعارف الجديدة، فدرس العلوم الرياضية والتاريخ، وتوسع في العلوم العقلية، مما أدى إلى مهارته في الجدل، وقدرته على الحوار، وبسط وجهة نظره بأبلغ عبارة، وتحديد المضامين الفكرية التي يريد إيصالها للغير. ثم توجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، والتعرف على أحوال المسلمين ومنها عاد ثانية إلى بلاده، فتقلد بعض المناصب في الحكومة الأفغانية، ثم تركها ليذهب ثانية إلى الهند التي خضعت للاستعمار الإنجليزي، فقصد إليه العلماء وطلاب العلم من كل صوب بعد أن ذاع صيته، وانتشرت أخبار علمه الغزير وشخصيته الفذة الساحرة، وبدأ الأفغاني يقوم بمحاولة التنوير، وإثارة الوعي عند مسلمي الهند، ودفعهم إلى الثورة على الأوضاع الفاسدة، ومقاومة الاحتلال الإنجليزي لكن الإنجليز لم يمهلوه كثيراً بعد أن رأوا حماسته الزائدة، وطبعه الناري، والتفاف الجماهير حوله، وخطورة أفكاره التي يظهرها من خلال خطبه الأخاذة، فأخرجوه من الهند ومنها توجه إلى مصر، التي كانت تموج بالكثير من الأفكار، وتعيش حالة مخاض عظيمة بفضل وجود جمهرة من العلماء المستنيرين وعلى رأسهم الإمام محمد عبده (ت ١٩٠٥م) الذي كان يدعو إلى الكثير من الأفكار التجديدية

(١) هذه نظرة إجمالية عن حياة مفكرنا، ومن يريد أن يتوسع، فليعد إلى العديد من الترجمات المفصلة التي كتبت عنه ومن أشهرها: تاريخ الأستاذ الإمام، لرشيد رضا، د.محمود قاسم: الأفغاني، د. محسن عبد الحميد: الأفغاني المفترى عليه، أحمد أمين: زعماء الإصلاح.

(٢) اعتقد أن هذه الادعاءات مرفوضة، والإنسان بعمله وليس بنسبه وقد رأى الدكتور عبد المنعم النمر أثناء عمله في جامعة الهند، أن هذه الادعاءات شائعة لحاجة دنيوية (البابية والبهائية).

التي تشبه في جوهرها، أفكار الأفغاني.

وفي مصر تعرف عليه محمد عبده – الذي انجذب بسحر شخصيته – وكثرة من رجال الفكر وطلاب العلم ووجهاء الأمة، وعلية القوم، وتردد الأفغاني على الأزهر، الذي كان يؤمه العلماء من أقطار العالم الإسلامي، إلا أنه لم يمكث طويلاً بعد أن دعاه سلطان العثمانيين وتوجه شطرا الآستانة، حيث كانت غالبية دول العالم العربي خاضعة للأتراك في ذلك الوقت، وهناك شارك في إدارة دفة التعليم، وأصبح عضواً في مجلس المعارف وأخذ في إلقاء الكثير من المحاضرات المتعددة التي أظهرت سعة أفقه، وغزارة علمه، ونيل مقصده، ومضمون أفكاره، وقد تركز جوهرها في: رفض التقليد وتقديس الماضي، والدعوة إلى فتح باب الاجتهاد، والمطالبة بمسايرة أفكار العصر وعلمه وإعمال العقل في النصوص.. فسطع نجمه، وسلطت عليه الأضواء، وتهافتت الجماهير إليه من كل حدب وصوب تسأله وتنهل من علمه، وتستفسر عن أمور دينها وتستقبل هذه الأفكار الجديدة بشغف وحماسة، مما أوغر عليه صدر علماء الأستانة، فاتهموه بالأباطيل، ورموه بالإلحاد، لأفكاره العقلية الجريئة[1] التي لم تكن مستساغة عندهم، وعملوا على الكيد له، وإخراجه من عاصمة الإسلام آنذاك، فعقد العزم على التوجه إلى مصر ثانية، لاسيما وأن تلاميذه في شوق بالغ إليه، والساحة الفكرية مهيئة لتلقي أفكاره، واستيعابها، والعمل بها.

وفي مصر أقام الأفغاني أكثر من ثمان سنوات، شمر فيها عن ساعد الجد وبدأ حركته التنويرية الخصبة، ويخرج من عقله كل ذخيرة التنوير متمثلاً ذلك في: الدعوة إلى رفض التقليد وفتح باب الاجتهاد، والشك في قيمة الأفكار الموروثة عن القدماء والآباء والأجداد، ورفض الأفكار السائدة في المجتمع، والتي يأخذها الأفراد كقضايا مسلماً بها، والدعوة إلى مسايرة أفكار العصر، واستخدام المصطلحات الجديدة في الحرية السياسية والعدل الاجتماعي، والمساواة في الحقوق والواجبات بين المواطنين، والمطالبة بأعمال العقل في النصوص، وتأويلها بما يتفق وقضايا العصر، ووضعها تحت سلطان القواعد

(١) أحمد أمين: زعماء الإصلاح.

المنطقية، والحجج العقلية، وإثارة الوعي عند الجماهير المسلمة، ودعوتهم إلى الثورة على الأوضاع البالية والحكومات الظالمة.

وبدأ يظهر تأثير الأفغاني بشكل جلي، بعد أن شارك في الحياة العملية والعلمية من خلال حلقات التدريس التي أقامها لجموع الطلاب الوافدة إلى الأزهر في بيته[١] وتلخصت هذه الدروس في المعارف الجديدة والعلوم التي لم يكن يعهدها طلاب الأزهر وقتذاك، ونعني بها الفلسفة وعلم الكلام والتصوف.

ومما يجدر الإشارة إليه، أن القيمة الحقيقية لم تكن لهذه العلوم في حد ذاتها فقط، بقدر ما كانت تكمن في المنهج الجديد، الذي طرحه الأفغاني، وأسلوبه المبتكر في تدريسه لطلابه، إذ كان «كل فصل من فصول هذه العلوم، أو جملة من جملها، تكأة يستند إليها في شرح أفكاره، وآرائه والتبسيط في مناحي الفكر، والتطبيق على الحياة الواقعية ونظرته إلى العالم كوحدة، مازجاً التصوف بالفلسفة وبالهيئة وبغير ذلك وهذا ما أقنع محمد عبده من الأفغاني وطمأن نفسه له[٢].

كانت دروس الأفغاني منارة للعلم بكل معنى الكلمة، وكان هو بمثابة الرجل الأسطورة القادم من الشرق محملاً بأسرار الحكمة، وكنوز الفلسفة، وعبق الشرق الساحر الغامض. لقد ركز أول ماركز على محاربة البدع والأوهام، ونبذ الخرافات التي انتشرت في أرجاء العالم الإسلامي[٣] والعمل على تحرير العقل العربي من إساره، ففك أغلال الجمود والانحطاط التي رانت عليه، وإيقاظه من سباته، ودفعه إلى الإبداع والخلق، وفهم النصوص في ضوء معطيات العصر، وأسس المنطق وقوة العقل[٤].

وكان لمقالاته السياسية، وهجومه الشديد على الإنجليز بعد تدخلهم في الشئون

---

(١) أحمد أمين: زعماء الإصلاح ص٦٤، محسن عبد الحميد: الأفغاني ص١٧.

(٢) أحمد أمين: المصدر السابق.

(٣) من المعلوم أن ابن تيمية هو رائد هذا الاتجاه وله باع طويل في هذا المجال، وتبنى دعوته محمد عبد الوهاب، وجاء الأفغاني يواصل المسيرة، وتمثل قصة «قنديل أم هاشم» ليحيى حقي، نموذج للأوهام الشعبية، راجع الزيني: ابن القيم وآراؤه الكلامية ص٤٤.

(٤) د. محمود قاسم: الأفغاني ص٢٤.

المصرية، آثار بالغة، مما جعل الإنجليز يؤلبون «الخديوي» عليه، وأوعزوا إليه بنفيه خارج مصر فذهب إلى الهند للمرة الثالثة، وتكررت المسألة مرة ثانية، دعوة إلى الجهاد ومحاربة للأساليب الاستعمارية، وإيقاظ الجماهير من سباتها، وحضها على الثورة، فنفي إلى الخارج، من الهند إلى باريس، وهناك أرسل يستدعي تلميذه الأثير الذي لحقه هناك، وأصدر جريدة «العروة الوثقى» (١٨٨٤م) التي كرست مقالاتها في محاربة الاستعمار بجميع أشكاله، في كل مكان في العالم الإسلامي، بعد أن حل ضيفاً ثقيلاً في الجزائر (١٨٣٠) وتونس (١٨٨١) وأخيراً مصر (١٨٨٢).

وظل الأفغاني وتلميذه محمد عبده يكافحان كفاح الأبطال، ويعملان عمل العظماء، ويصبران صبر الزهاد والمتصوفة، ضد صنوف الابتزاز والمضايقات، والمراقبات.

كان همهما الأول هو بعث هذه الجماهير ثانية، لكي تأخذ زمام المبادرة، وتتصدر الصفوف. كانا يريدان إعادة الروح إلى الجسم الإسلامي الهامد، وعملا بجميع الوسائل على تحقيق هذا الهدف، وتبنت الجريدة قضايا العالم الإسلامي: محاربة الاستعمار، قضية الديمقراطية وإنشاء مجلس شورى يمثل أفراد الشعب، الدعوة إلى تطوير التعليم، إنشاء الجامعة الإسلامية دفع دعاوى المستشرقين لاسيما أرنست رينان (١٨٩٢م) الذي اتهم العقلية العربية بالقصور والتخلف، وادعى وجود فوارق عقلية وجنسية بين الأجناس البشرية، وأنكر أصالة العلوم العربية[١].

ولكن الإنجليز كانوا للمجلة بالمرصاد، فطاردوها في كل مكان، ومنعوا وصول الأعداد لأصحابها، فتوقفت عن الصدور، بعد أن صدر منها ثمانية عشر عدداً.

ومن فرنسا توجه إلى إيران، ومنها إلى روسيا، حيث عمل على إعطاء حرية العبادة للمسلمين الذي يعيشون فيها وتوسط في ذلك لدى القيصر، ثم عاد إلى إيران ثانية أثناء حكم الشاه ناصر الدين وبدعوة منه، وعندما بدأ نشاطه السياسي والعلمي المعهود، وقبض عليه بواسطة حرس الشاه، وطرد شر طردة إلى العراق، ومنها إلى انجلترا ثم دعي

(١) رينان: ابن رشد والرشدية ص١٠٦، ١١٦ (الترجمة العربية).

من السلطان عبد الحميد للنزول إلى الأستانة فولى شطره إليها، وفيها تم محاصرته وتضييق الخناق حوله، ورصد تحركاته، ونشر الجواسيس في كل الأماكن التي يحل بها ولم يسمح له بالخروج أو السفر، حتى مرض بالسرطان، وأجريت له عملية جراحية أدت إلى وفاته في عام ١٨٩٧م[١].

ثالثاً: روايات أخرى عن حياته:

شكك بعض الباحثين الإيرانيين والعرب، في تاريخ الرجل، وجهوده العظيمة، حيث جرحوه واتهموه بالكثير من الأباطيل، ورموه بالدعاوى العديدة، والتهم الباطلة، ونستطيع تلخيص غالبية الاتهامات في الآتي:

- إنه إيراني الجنسية، إذ ولد في إيران، وأخفى ذلك لأسباب سياسية.
- كونه شيعياً متعصباً، وليس سنياً.
- أنه تخفى وراء ستار الإسلام، ولم يكن مؤمناً حقاً.
- أنه كان من دعاة التغريب، وعمل جاهداً على ربط العالم الإسلامي بالغرب.

وبالنسبة للتهمة الأولى، فقد أفرد لها أحد الإيرانيين كتاباً بعنوان «جمال الدين الأسد بادى» . وادعى أنه ابن أخت الأفغاني، ويعرف حقيقته تماماً.

والحقيقة أن التهمة لم تكن جديدة، فقد تصدى لها العديد من المؤرخين، وفندوها، وعلى رأسهم الأمير شكيب أرسلان (ت١٩٤٦) والعلامة أحمد أمين (ت١٩٥٤) وأحد الباحثين المعاصرين الذي أفرد كتابه كله للرد على هذه المزاعم، وفندها حجة حجة، ومن يريد الاستقصاء والاطلاع على ذلك فليرجع لهذا الكتاب القيم[٢].

ثم عاود أحد الباحثين المعاصرين، ونعني به الدكتور لويس عوض (ت١٩٩٠)، وهو أحد المفكرين المصريين البارزين، نقول عاود عرض هذه التهم جملة في بحث نشر له

---

(١) أحمد أمين: زعماء الإصلاح ص٥٩-١٠٥، لطف الله: جمال الدين الأسد بادي، لوثروب: حاضر العالم الإسلامي جـ١ ص٣٠٥، جـ٢ ص٢٨٩، رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام ص٢٧، محمود قاسم: الأفغاني ص٨٠، جورجي زيدان، مشاهير الشرق.

(٢) محسن عبد الحميد: الأفغاني المفترى عليه.

بالقاهرة وقد انبرى له عشرات من المؤرخين والعلماء وأساتذة التاريخ لدحض هذه الحجج والرد على دعاويه، وتأييد وجهة نظرهم بالوثائق ونشرت غالبية الردود بجريدة الأهرام[١].

أما التهمة الأخيرة، وتهم أخرى فقد نشرها الدكتور. محمد محمد حسين، في كتاب له صغير، اسمه «الحضارة الإسلامية» وقد هاجم فيه بالإضافة إلى الأفغاني ثلاثة من أبرز دعاة النهضة العربية، ورموز التنوير، ونعني بهم، رفاعة الطهطاوي، ومحمد عبده، وطه حسين.

وقد تصدى صاحب كتاب «جمال الدين الأفغاني المفترى عليه» في الرد على هذه التهم بأسلوب علمي، وعرض دعاويه، دعوة دعوة وأبطل كل حججه، مقدماً حيثياته وأدلته بمنهج علمي، وأسلوب متحضر يحترم عقل القارئ.

والحقيقة أن أي شخصية مثل شخصية الأفغاني، متعددة الجوانب، متنوعة المذاهب، مشتعلة بالنشاط، مفعمة بالثورة، خصبة التفكير، تخوض غمار الأحداث بهذا الإقدام، وتلك الشجاعة، لابد أن يكون لها أنصار وأعداء، محبون ومبغضون، موافقون لهذه الآراء، ورافضون لها، بسبب اختلاف أمزجة العلماء وثقافاتهم.

ولكن المحصلة النهائية لهذه الآراء، أنها إيجابية وقدمت الكثير لأبناء العروبة والإسلام وبالإضافة إلى ذلك فهذه «سنة مألوفة في الكون، لا يأتي مصلح سابق لزمنه إلا رمي بالزندقة أو الكفر أو الجنون، ثم أوذي ممن يسعى في الخير لهم، وممن يضحي بسعادته لسعادتهم، ولا يقدر حق قدره إلا بعد أن يهدأ الحسد بموته، وتتجلى صحة دعوته بعد زمنه»[٢].

وما يهمنا من الأفغاني، سواء كان إيرانياً أو أفغانياً، شيعياً أو سنياً[٣]، ما يهمنا هو

(١) نشرت هذه البحوث في جريدة الأهرام عام (١٩٨٥-١٩٨٦م).

(٢) أحمد أمين: زعماء الإصلاح ص١١٥.

(٣) راجع كتاب محسن عبد الحميد: جمال الدين الأفغاني المفترى عليه، وقد دافع عن الأفغاني دفاعاً منهجياً وعلمياً لكل الادعاءات والاتهامات التي وجهت إليه، ووقف موقف المحامي الواعي المنصف، والكتاب كله دفاع عن تاريخ الأفغاني بالدليل والبرهان.

فكره ومنهجه في الدعوة، ومضمون التنوير الذي قام على نشره، وأسلوبه في محاربة الاستعمار. كيف نستفيد من هذه التجربة العريضة الخصبة؟

كيف نستفيد من هذا التراث الحي، ونوظفه في خدمة قضايانا المعاصرة؟ بعد أن تجاوز العصر الكثير من القضايا التي كانت وقتذاك.

إن الأفغاني بالإضافة إلى أنه رمز للبطولة والكفاح، فهو تراث نابض يفيد الأجيال المعاصرة.

رابعاً: صفاته وأخلاقه:

عادة ما يتميز عظماء الرجال بصفات طيبة من قوة الخلق، والهمة العالية والشجاعة في القول، والكلمة الموحية، والمنطق القوي، والبرهان الواضح، والحجة الساطعة. وقد تمثلت هذه الصفات في الأفغاني، بالإضافة إلى العديد من الصفات الأخرى التي تنحو به نحو الكمال الإنساني قدر الطاقة البشرية.

إذ تجلت فيه سمات الحكماء، وأقوال العلماء، وتأمل الفلاسفة، وزهد المتصوفة وجمع بين عقل الرياضي، وقلب الموسيقي، ورقة الطبيب.

هذا من حيث الجوهر أما من حيث المظهر، فكان متوسط الطول، أسمر اللون، جذاب النظر، قليل المزاح، رزيناً كتوماً، هادئاً، زاهدا في متع الحياة، معرضاً عن زخرفها ومظاهرها الكاذبة، لذلك عاش عازباً لم يشغل عقله أو قلبه بامرأة أو ولد. على ملامح وجهه، وقسماته تبدو علامات النجابة والذكاء، متحفزاً للنزال والجدال، ودحض الباطل، فطناً حاد الذهن سريع الملاحظة، دقيق النظر في المسائل العقلية، متعمقاً فيها، قوي الذاكرة، بالغ الحجة، يخلب لب محدثه بسرعة بديهته كأنه واصل بن عطاء (ت١٣١هـ).

شهد له الكثير من العلماء بكمال صفاته، وسوف نجتزئ قلة من هذه الآراء على كثرتها كما أوردها الكثير من الباحثين والدارسين.

قال الإمام محمد عبده (ت١٩٠٥م)، وهو أقرب تلاميذه إليه، والرجل الذي عاش ملازماً له وخبر تصرفاته، وأدرك صفاته: «قوة روحية، قامت في كل ذهن بما يلائمه أو

حقيقة كلية نزلت في كل عقل بشكل يشاكله» ثم أضاف: «لو قلت إن ما أتاه الله من قوة الذهن وسعة العقل، ونفوذ البصيرة هو أقصى ما قدر لغير الأنبياء لكنت غير مبالغ» (١).

وهذه العبارة تذكرنا بقول السيدة عائشة رضي الله عنها، عن حديث الحسن البصري (ت١١٠هـ) حينما سمعته: «من هذا الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء» (٢).

وبعد أن حاوره أرنست رينان (١٨٩٢م) في موضوع العلم والإسلام، ورد الأفغاني عليه، ودفع شبهة انتقاص الإسلام من العلم، أو اضطهاده للعلماء قال عنه: «كنت أتمثل أمامي عندما كنت أخاطبه ابن سينا (ت١٢٨هـ) أو ابن رشد (ت٥٩٥هـ) أو واحد من أساطين الحكمة الشرقية» (٣).

وقال عنه الباحث لوثروب، والذي أفرد له ترجمة كاملة: «سيد النابغين الحكماء، أمير الخطباء البلغاء، وداهية من أعظم الدهاة، دامغ الحجة، قاطع البرهان، ثابت الجنان، متوقد العزم، شديد المهابة كأن في ناسوته أسرار مغناطيسية» . ثم يضيف عنه واصفاً أحواله ورحلاته: «كان سائحاً جواباً، طاف العالم الإسلامي قطراً قطراً، وجال غربي أوروبا بلداً بلداً، فاكتسب من هذه السياحات الكبرى ومن الاطلاع العميق، والتبحر الواسع في سير العالم والأمم، علماً راسخاً واكتنه أسرارا خفية، واستبطن غوامض كثيرة، فأعان ذلك عوناً كبيراً على القيام بجلائل الأعمال التي قام بها» (٤).

أما الأديب العربي الشهير شكيب أرسلان (ت١٩٤٦م) فقد ركز وهو يصفه على صفتي الزهد والشجاعة فقال عنه: «كان راغباً عن الدنيا بحذافيرها، عيوفاً عن زينتها معرضاً عن زخرفها، ولم يكن يعرف الخوف قلبه سبيلاً» (٥).

ووصفه أحد الباحثين الإيرانيين بصفات عديدة، بعد أن أفرد له كتاباً كاملاً ومن هذه الصفات، صفة الشجاعة، فقال: «كان الأفغاني يصرح بآرائه وأفكاره في غير تهيب

(١) من مقدمة الرد على الدهريين.
(٢) ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص٢١.
(٣) حاضرة العالم الإسلامي ج١ ص٣٠٥.
(٤) المصدر السابق والصفحة.
(٥) المصدر السابق ج٢، ص٣٠٠.

ولا وجل لما جبل عليه من شجاعة واعتزاز بالنفس» [١].

ثم تكلم عن مدى تأثيره فيما حوله، حتى أن حكومة الشاه ناصر الدين، حينما قررت طرده خارج البلاد «كانت تغير حراسه في كل نزل، ومرحلة خوفاً من أن يتأثروا بأخلاقه الحميدة الفاضلة» [٢].

وقال أحمد أمين، أنه تفرد بشخصية قوية: «ذكاء متوقد، وبصيرة نافذة، وتوليد للأفكار والمعاني من كل ما يقع تحت سمعه وبصره واستقصاء للفكرة حتى لا يدع فيها قولاً لقائل» [٣].

وأخيراً قال عنه أحد الباحثين المعاصرين: «كان الأفغاني ذا قوة في الفطرة، وتوقد في الذكاء، ظهرت عليه علامات النبوغ والعبقرية والشجاعة منذ الصغر» [٤].

خامساً: مؤلفاته:

كان منتظراً من رجل مثل الأفغاني، درس الفلسفة اليونانية التي نقلت إلى العالم الإسلامي، كما اطلع على الفلسفة الأوروبية، وجادل أصحابها، لاسيما بعد أن درس اللغة الفرنسية وبحث في علم الكلام والتصوف والفلسفة الإسلامية، وعلم الأديان، وأصول الفقه. أقول كان منتظراً أن يترك لنا العديد من المؤلفات التي تعبر عن نظرياته وآرائه ويبسط ذلك في وضوح كامل، ولكن الواقع أنه لم يترك مؤلفات كثيرة، ربما لرحلاته العديدة، وانتقاله من دولة لأخرى، ومطاردة الاستعمار له، وشغل طلابه ومريديه كل أوقاته فلم يتمكن من الكتابة الغزيرة كما عهدنا ذلك عند المفكرين، أو على الأقل مثل كتابات تلميذه محمد عبده الذي تميز بالإنتاج الغزير.

ويشبه الأفغاني في ذلك الفيلسوف اليوناني سقراط (+٣٩٩ ق.م) وإن كان الأخير لم يترك لنا مؤلفاً قط، اللهم إلا ما نقله عنه تلميذه أفلاطون (+٣٤٧ق.م) في محاوراته. ومن

(١) ميرزا لطف الله: جمال الدين الأسد بادى ص١٤٤.
(٢) المصدر السابق ص١٠٩.
(٣) أحمد أمين: زعماء الإصلاح ص٦١.
(٤) محسن عبد الحميد: جمال الدين الأفغاني ض١٣.

أشهر مؤلفات الأفغاني:

- تاريخ الأفغان:

كتبه باللغة العربية، وكان لهذا الكتاب أثر قوي على الشعب الأفغاني، حيث بصره بحقوقه وواجباته، وأيقظه من سباته، ونور عقولهم، وشحذ هممهم، ووضع لهم برنامجاً لمسيرة الكفاح والنضال[١].

- الرد على الدهريين:

وهو كتاب صغير الحجم، جليل الفائدة، عظيم القدر، بسط فيه وجهة نظره، وأدلته القوية، في مزاعم الملاحدة، المنكرون لوجود الله، والذي يرجعون خلق العالم إلى المصادفة أو إلى المادة والادعاء بأنها قديمة أزلية، وفي نفس السياق يناقش نظرية «داروين» (+١٨٨٢م) على ضوء معطيات العصر ومفاهيمه في ذلك الوقت، ثم يستعرض خطورة الإلحاد، وضرره في هدم القيم، وتأثيره في نفسية الشعوب، ومضار ذلك على الحضارات. ويذكر أمثلة عن المجتمع اليوناني والفارسي والروماني، وكيف أن هذه المذاهب الإلحادية كانت وبالا عليهم. ويشير إلى المذاهب المادية التي انتشرت في فرنسا وإنجلترا، وأضعفت قوتها وأدت إلى تفكك المجتمع وانهيار قيمه. وأهمية الكتاب تتجلى في «إثبات قيمة الدين وضرورته للإنسان وأثره في رقيه، وأثر الإلحاد في انحطاطه» [٢].

هذا بالإضافة إلى العديد من المقالات التي نشرها في «العروة الوثقى» و«أخبار الخافقين» والصحف المصرية والهندية والإيرانية والروسية والتركية، وقد تنوعت هذه المقالات ما بين السياسة والدين والفلسفة والاجتماع، وتعاملت مع قضايا الواقع الديني والسياسي والاجتماعي آنذاك، وطرح مشاكله، وتقديم الحلول لها، فضلاً عن المشاركة في الأحداث بل وصنعها مما كان له تأثير ملموس في اليقظة العربية[٣].

---

(١) حاضر العالم الإسلامي جـ٢ ص٢٩٠.

(٢) أحمد أمين: زعماء الإصلاح ص٧٨.

(٣) قام الدكتور محمد عمارة بجمع تراث الأفغاني، ودراسته وتحقيقه تحقيقاً علمياً، وقدم لهذه الأعمال بمقدمات مستفيضة، ونشرت بعنوان «الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني»، القاهرة، ١٩٦٨م.

سادساً: منهجه:

من المميزات التي تميز بها الأفغاني عن قرناء عصره، المنهج الذي اتبعه في الدراسة، وتبليغ الدعوة التي حملها على عاتقه لطلابه ولجماهير المسلمين فهذا المنهج الذي طرحه من جديد على الساحة الفكرية، لم يكن جديداً بالمرة في تاريخ الفكر العربي الإسلامي، ولم يكن دخيلاً عليه، بل هو من صلب تراثه، وجزء من نسيجه، إنما تكمن الجدة والطرافة في إعادة صياغته من جديد، واستخدامه في عصر ساده الجمود، وانتشرت فيه الخرافات والخزعبلات كأن الزمن يعود القهقرى، وكبلت الأساطير عقول الناس، وأصبح منهج التقليد والوقوف عند حدود القديم هو السائد والمسيطر على العقول.

لقد أحيا الأفغاني المنهج العقلي من جديد؛ وهو عين المنهج الذي اتبعه المعتزلة، واتخذوه وسيلة للمعارف وكشف الحقائق وفهم مضامين الإسلام الحقيقية، والدفاع عن عقائده ضد النحل الأخرى، ثم رفع لواءه ابن رشد (ت٥٩٥هـ) وأعلى من شأنه، وتوج به حقائق الفكر العربي الإسلامي، ولما تخلى المسلمون عن ركب الحضارة للغير، وخضعت دولتهم الشاسعة للتدخل الأجنبي: من مماليك وعثمانيين وأوروبيين، طمس هذا المنهج وأخفيت معالمه.

وجاء الأفغاني يتابع كفاح العلماء، ويشعل النور في العقول، وينشر الأمل في النفوس، فرفع شأن النزعة العقلية، وحاول استخدام الدليل العقلي، والحجة المنطقية، والاعتماد على (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)(النمل٦٤)، والتعويل على الاستدلال، أن يعيد الذهنية العربية الإسلامية إلى مجدها القديم، وسيرتها الأولى، ويوجه سيرها نحو الطريق الصحيح، ويحيين تراثها، ويؤصل حاضرها، واستطاع أن يؤسس «العقيدة على أساطين المنطق والحكمة العقلية، ويثبت صحة الوحي وينتهي إلى إيضاح البراهين المحمدية، كل ذلك يملكه قل أن تتاح لفيلسوف غيره[1]. ويقال أنه كان يأخذ

(١) حاضر العالم الإسلامي جـ٢ ص٢٩٠، لا نستطيع أن نقول أنه فيلسوف بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، إذ لم يكن له نسق فلسفي، أو بناء مذهبي متكامل ومترابط، تشمل قضايا الوجود والمعرفة والأخلاق، وإنما بمعنى النظرة العقلية الكلية الشاملة والقدرة على تحليل المواقف والغوص على المعاني واستظهار النتائج.

بيد تلاميذه، فيرفعهم إلى درجة يسيطرون فيها على الكتاب ولا يستعبدهم الكتاب، ويسمون عن قيود الألفاظ والجمل إلى معرفة الحقيقة في ذاتها. وكانت طريقته في التدريس تكمن في تحديد موضوع الدرس، ثم الإفاضة في شرحه حتى يلم بجميع أطرافه والتركيز على أغراضه، ثم قراءة نص الكتاب فإذا هو واضح ظاهر بين فيه موضع الخطأ والصواب» (١).

وبالإضافة إلى النزعة العقلية، استخدم الأفغاني أسلوب الحوار، في مجادلة طلابه ومحاوريه، وخصومه، كأنه سقراط العصر، ففي الحلقات الدراسية التي كان يعقدها في بيته أو في «القهوة» كانت تطرح القضايا، وتتبادل الآراء، وتتباين وجهات النظر، وتتداخل الأفكار، ويندفع كل طالب أو مجال يعبر عن رأيه، ثم يبدأ الأفغاني بمناقشة الآراء وتفنيدها، ودفع حجة الخصم وهذه مرحلة الهدم، ثم ينبري في بلورة أفكاره في هدوء وسلاسة، واستخدام الكلمات المعبرة المصورة لأفكاره، واختيار الحدود التي تعبر عن مضمون رأيه، بدون تهويل أو تهوين، وكان دائماً له اليد العليا في الحوار والجدل، وغلبة الخصم بالحجة القوية، والبرهان الساطع.

ففي حوار بينه وبين قيصر روسيا يستفسر عن سبب عدائه لشاه إيران:

- قال الأفغاني: إنه الحكومة الشورية، أدعو إليها ولا أراها.
- قال القيصر: الحق مع الشاه فكيف يرضى ملك أن يتحكم فيه فلاحو مملكته؟
- قال الأفغاني: أعتقد يا جلالة القيصر أنه خير للملك أن تكون ملايين رعيته أصدقاء من أن يكونوا أعداء يترقبون له الفرص، فأفحم القيصر، وقام علامة على انتهاء المقابلة(٢).

وقد صدق الإمام محمد عبده (رحمه الله) حينما صور ذلك الأسلوب فقال: «إنه ما خاصم أحد إلا خصمه، ولا جادل عالم إلا ألزمه، وقد اعترف له الأوروبيون بذلك

(١) أحمد أمين: زعماء الإصلاح ص٦٦.
(٢) المصدر السابق ص٩٦.

بعدما أقر له الشرقيون[١]. وكان يحدث من يفهم ومن لا يفهم ومن يستعد ومن لا يستعد كالسحاب ينزل الغيث فتنتفع به الأرض الصالحة، وتسوء به الأرض الفاسدة ولا عيب على السحاب» [٢].

وقال أحد الباحثين عن مجالسه العلمية وأسلوبه فيها. «كان يحضر فيها العلماء والأدباء والشعراء والمناطقة والأطباء من مختلف الاختصاصات، فيسألون أدق المسائل فيجيبهم بلسان عربي مبين، متدفقاً كالسيل، فيدهش السامعين، ويشبع السائلين، ويفحم المعترضين» [٣].

والنقطة الثالثة في منهجه، هي الاستشهاد بالآيات القرآنية الكريمة، وأحاديث الرسول ﷺ في غالبية المناسبات، ولتأكيد وجهة نظره، وتوضيح فكرته، والعمل على تأويلها، إذا دعت الضرورة، وعدم الوقوف عند المعنى الظاهري، كما نرى في قضية القضاء والقدر، وتقريره للحرية الإنسانية، وحثه الإنسان المسلم لتحمل مسئوليته تجاه واقعه اليومي، ورفع شبهة أن عقيدة الإسلام هي الجبر.

وكذلك استخدام المفاهيم المعاصرة مثل الحرية، وأهمية العمل، والتمسك بالقيم الخلقية، وإيجاد الركائز لها من القرآن الكريم، وتوظيف آياته، تحقيقاً لمقاصد الشريعة، وأهداف الدين، إذ كان من أهدافه، التي وضعها نصب عينيه، التوفيق بين مضمون الشريعة الإسلامية، وقواعدها، وبين الفكر الأوروبي المعاصر، بما يتضمن من أفكار التنوير والحرية ونبذ التقليد واستخدام العقل[٤].

سابعاً: وقفة مع فكر الأفغاني:

تميز الأفغاني بعقلية كبيرة وذكاء حاد، وأفق واسع، ولذلك كانت اهتماماته عديدة، ومختلفة، ومناحي تفكيره خصبة وعميقة، وأفكاره شملت غالبية مجالات الحياة التي

(١) الإلزام: وسيلة من وسائل الجدل، استخدمه المتكلمون للتغلب على الخصم، ويعني إلزامه بنتائج شنيعة بسبب آرائه، وهو لا يرضى عنها بالطبع بسبب التعسف في استخلاص هذه النتائج.
(٢) أحمد أمين: زعماء الإصلاح ص٧١.
(٣) المصدر السابق ص٧٢، محمود قاسم: الأفغاني ص٢٤.
(٤) محسن عبد الحميد: الأفغاني ص١٩٦.

عاشها، فشارك في معظمها، سياسياً، ودينياً، واجتماعياً، وعلمياً، وفي كل مجال كان له رأي سديد، ووجهة نظر صائبة، وفكر نظري يعتد به، حاول أن ينقله إلى أرض الواقع الإسلامي، ومن هنا تتجلى عبقرية هذا الرجل الذي سبق عصره، وأتى بأفكار ممتازة إذا قيست بحالة المسلمين وقتذاك، بعد أن ران عليهم الخمول والكسل والجمود «وسقطت هممهم، ونامت عزائمهم، وماتت خواطرهم، وقام شيء واحد فيهم وهو شهواتهم»[١].

في هذا المناخ المعتم، ينطلق الأفغاني في كل مكان، ويحل بكل دولة، ويعبر قارات مطالباً بحرية الشعوب واستقلالها عن المحتل الغاصب، متكلماً بكل لغة عن فك قيد الجهل عن الشعوب، وإزالة ركام التواكل الذي غرق فيه منادياً للحرية والشورى والعدل الاجتماعي، والمساواة بين أفراد الشعب الواحد.

ويمكن تلخيص أهدافه في هدفين:

- بث الروح في الشرق حتى ينهض بثقافته وعلمه وتربيته، وصفاء دينه، وتنقية عقيدته من الخرافات، وأخلاقه مما تراكم عليها.

- مناهضة الاحتلال الأجنبي، حتى تعود الأقطار الإسلامية إلى استقلالها، وتنضوي تحت لواء الوحدة[٢]. وسوف نلقي نظرة سريعة على أهم مجالات نشاطاته وجهوده المتنوعة:

١- المجال السياسي:

لاشك أن هذا المجال هو أظهر المجالات التي تحرك فيها الأفغاني بهمة متوثبة، وعزيمة قوية، وإرادة صلبة – وكان لجهوده رد فعل عنيف، سواء كان من الاستعمار، أو الحكام المستبدين، أو تحريك الجماهير وإيقاظها من سلبياتها، وحثها على أخذ زمام المبادرة، والمطالبة بحقها فضلاً عن تكوين قيادات واعية تسير معه في نفس الدرب، ومن ثم تجلت خطورة هذا الرجل، وأهميته في عملية التنوير وبعث النهضة في أواخر القرن ١٩.

(١) شكيب أرسلان: حاضر العالم الإسلامي جـ٢ ص٢٩٩.
(٢) أحمد أمين: زعماء الإصلاح ص١٠٦-١٠٧.

أ) محاربة الاستعمار الأجنبي:

بسبب الثورة الصناعية في أوروبا، زحفت الدول الكبرى لإيجاد أسواق لمنتجاتها، وتصريف بضائعها، وفي الوقت نفسه، الحصول على المواد الخام، والعمالة الرخيصة. وكان من سوء حظ العالم العربي الإسلامي، أن الدولة العثمانية التي بسطت سيطرتها عليه منذ منتصف القرن السادس عشر، كانت في مرحلتها الثانية أي في دور الضعف والانحلال، إذ أطلق عليها «الرجل المريض» . وبعد أن كانت أوروبا تعقد المؤتمرات، وتقيم الأحلاف، للاتفاق على كيفية مواجهة قوة الدولة العثمانية في القرن السادس عشر، تحول الأمر إلى النقيض تماماً، وأصبحت القضية المطروحة كيف تظفر أوروبا، ودولها الكبرى، بأكبر قسم من الغنيمة المباحة، وتسارعت الدولة الأوروبية للسيطرة على العالم العربي بكل الوسائل، سواء بالتدخل غير المباشر، في بداية الأمر بواسطة السيطرة على الاقتصاد أو بعقد المعاهدات أو بالتدخل العسكري المباشر، وهذا ما انتهى إليه العالم العربي في نهاية المطاف، فخضعت الجزائر (١٨٣٠) وتونس (١٨٨١) للاحتلال الفرنسي، وتقدم الإنجليز في اتجاه مصر فهزموا عرابي واحتلوها عام (١٨٨٢) فضلاً عن سبقهم في احتلال الهند والتدخل في الشئون الإيرانية.

إذن فالتركة أمام الأفغاني كانت مثقلة ومرهقة، والأعباء خطيرة، والمواجهة حاسمة بينه وبين الاستعمار، لقد كان بعيد النظر، وواسع الأفق في هذه المسألة، لأنه أدرك في وقت مبكر بخطر السيطرة الغربية الزاحفة على الشرق العربي الإسلامي، وأيقن بعواقبها الوخيمة، لاسيما إذا طال عهدها وامتدت حياتها، ورسخت في تربة الشرق وأدرك شؤم المستقبل وما سينزل بساحة الإسلام والمسلمين من النائبة الكبرى إذا ظل الشرق الإسلامي على الحالة المهينة التي هو عليها[1] واستسلم هكذا لأطماع الاستعمار وتركه يسير مقدراته، وينهب ثرواته.

هذه كانت قضية الأفغاني الكبرى، ولم يتوان الرجل، ولم يدخر جهداً ولا فكراً إلا

(١) لوثرب: حاضر العالم الإسلامي جـ١، ص٣٠٥.

بذله، محذراً من خطورة الاستعمار، فاضحاً دسائسه، كاشفاً ألاعيبه، مظهراً ظلمه، موضحاً سيئاته، منذراً بالعواقب التي ستحل بالأمة من جراء سيطرته، كاتباً في الصحافة والمجلات، متنقلاً من دولة إلى أخرى، عاقداً الندوات والمؤتمرات، يطرده الإنجليز من الهند، فيحل بمصر، ويبدأ نفس النشاط، فيخرجوه من مصر ليذهب إلى فرنسا، يعرض قضية العرب على الرأي العام هناك، ثم يعود إلى الاستانة وهكذا في دورة نضالية لا ينتهي منها إلا ليبدأ ثانية، وفي كل هذه الرحلات، يكتب ويكتب[١] ويخطب ويحاور، ويجادل، ويطالب بالاستقلال، ويكشف فظائع الاستعمار. يقول في إحدى خطبه لأهل الهند، مستفزاً خواطرهم، موقظاً نائمهم، موبخاً جماهيرهم: «يا أهل الهند وعزة الحق لو كنتم وأنتم تعدون بمئات الملايين، ذباباً لأصم طنينه آذان بريطانيا العظمى ولجعل في أذن كبيرها غلادستون وقرا» [٢].

ويقول في إحدى ندواته لتلامذته من جميع طوائف الشعب «إنكم معاشر المصريين نشأتم في الاستعباد، وربيتم في حجر الاستبداد.. انظروا إلى أهرام مصر[٣]، وهياكل منفيس[٤]، وآثار طيبة[٥]، ومشاهدة سيوه، وحصون دمياط فهي شاهدة بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم، هبوا من غفلتكم! اصحوا من سكرتكم! عيشوا كباقي الأمم أحرار سعداء» [٦].

والشاهد أن الأفغاني كرس كل جهده وفكره لمحاربة الاستعمار، والعمل على طرده من بلاد الإسلام.

ب) محاربة الحكام المستبدين:

لم يقتصر هجوم الأفغاني على الاستعمار فقط، بل انصبت مجهوداته على أعوانه في

(١) أعني مجموعة المقالات التي كتبها في العروة الوثقى.
(٢) العروة الوثقى ص١٢٢.
(٣) بنيت أيام الأسرة الرابعة في عهد خوفو وخفرع ومنقرع في حدود (٢٧٨٠ قبل الميلاد).
(٤) هي عاصمة مصر أيام الملك نارمر في الدولة القديمة (٣٢٠٠ ق.م).
(٥) بلد الملك نارمر وكامس وزحملس الذي هزم الهكسوس في حدود ١٧٧٨ ق.م.
(٦) زعماء الإصلاح ص٧٣.

الداخل والخارج، وفي مقدمتهم الحكام الذين لجأوا للاستعمار ليحميهم من شعوبهم فضلاً عن استبدادهم بالسلطة، والاستحواذ على مقاليد الأمور، وهيمنتهم على شؤون البلاد، واحتكارهم السلطان، ومعاملة الشعب بالقسوة والعنف، والنظر إليه ككم مهمل ليس له شأن في أي أمر من أمور الحياة، سوى أن يدفع الضرائب، ويساق إلى السخرة، وتبتز أمواله بالقهر والاغتصاب.

لقد كتب الأفغاني في هذه القضية كتابة مستفيضة، في العروة الوثقى، وهي شاهدة على ذلك، ظل يحذر الحكام من الاستبداد، وخطورة احتواء السلطة في أيديهم بل ويبين جوهر الاستبداد من الناحية النظرية، فيقول: «إن الأمة التي ليس لها في شئونها حل ولا عقد ولا تستشار في مصالحها ولا أثر لإرادتها في منافعها العمومية وإنما هي خاضعة لحاكم واحد، إرادته قانون، ومشيئته نظام يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد» (١).

وهذا الكلام يذكرنا بما قرره مونتسكيو (+١٧٥٥م) في «روح القوانين» ، ووصفه لشكل الحكم الاستبدادي بأنه الحكم الفردي الذي «لا يتقيد بهيئة من الهيئات أو بالدستور» (٢). ويذكرنا أيضاً بمفهومه عند عبد الرحمن الكواكبي (١٩٠٢) أنه: «صفة للحكومة المطلقة العنان، التي تتصرف في شئون الرعية كما تشاء بلا خشية حساب ولا عقاب» (٣).

إن أهمية الأفغاني تظهر من خلال تبنيه أفكار الحرية في عصر ساده الظلام والاستبداد ومطالبته بمشاركة الشعب في حكم نفسه، أو المشاركة في الحكم.

وللأسف أن القضية مازالت مطروحة على الساحة العربية بعد مرور قرن كامل على هذه الدعوة، ومازال الكثير من الشعوب تطالب بحريتها، وتنشد الديمقراطية، وتسعى إلى تقليص نفوذ الهيئة الحاكمة، وإيجاد العديد من الهيئات السياسية تتحمل مسئولية الحكم، وهذا ما يجعل لفكر الأفغاني حيوية، ونماء وخصوبة، بسبب فوران القضية في

(١) العروة الوثقى ص١٤٥.
(٢) كريون: تيارات الفكر ص٢٤١، يوسف كرم: الفلسفة الحديثة ص١٩٤.
(٣) زعماء الإصلاح ص٢٥٤.

obeikandl.com

العالم العربي المعاصر.

وفي قول آخر يستحث الأفغاني النزعة الدينية لدى الحكام، ويستثير فيهم الخوف من الله، الحاكم الأكبر، ويطالبهم بالحكم على مقتضى قواعد الشريعة، ومقاصد الدين، وأسس الإسلام، فيقول للحكام جميعاً بلا استثناء: «أما آن لأمراء الشرق أن يدينوا لأحكام الله التي لا تنقضي» (١).

ولما كانت لمصر مزيد اهتمام عنده، بعد أن عاش فيها سنوات، وربى قيادات علمية سياسية تدين له بالولاء والطاعة، فقد أولاها برعايته، لذلك حاول مع الخديوي توفيق، أن يلتزم بالنظام الديمقراطي، ويشرك نواب الشعب في الحكم كما فعلت دول أوربا، وفي نفس الوقت يستحث الشعب المصري لكي يطالب بحريته ويوجهه إلى الأساليب في الحرية السياسية، والعدالة الاجتماعية، والمساواة في الحقوق والواجبات. ولما ضاق الخديوي به، وبدعوته في تنوير العقول، استدعاه يحذره من مغبة الاستمرار في هذا المسلك، ولكن الأفغاني رفض التحذير والتهديد وقال له: «إذا قبلتم نصحي وأسرعتم لإشراك الأمة في حكم البلاد فتأمرون بإجراء انتخاب نواب عن الأمة تسن القوانين.. فإن ذلك أثبت لعرشكم وأدوم لسلطانكم» (٢).

وكان من نتيجة جرأة الأفغاني، وتصديه المستمر للاستبداد السياسي في مصر، والتعريض بالسلطة في ملتقياته وندواته، أن أبعد عنها بعد أن نجح في وضع جذوة الثورة العرابية.

ويلخص جولد تسيهر في المجال السياسي فيقول: «كان له تأثير عظيم في حركات الحرية، والمنازع الشورية، التي جدت في هذه السنين في الحكومات الإسلامية، وكانت حركته ترمي إلى تحرير هذه الممالك من السيطرة الأوروبية وإنقاذها من الاستغلال الأجنبي، وإلى ترقية شؤونها الداخلية بتأسيس إدارات حرة» (٣).

---

(١) العروة الوثقى ١٣٢.
(٢) المخزومي: خاطرات الأفغاني ص٤٦.
(٣) دائرة المعارف الإسلامية، مادة الأفغاني.

كان هدف الأفغاني «أن يتحرر الشعب من العبودية للحكام، ويفهموا حقوقهم وواجباتهم وينظروا لهم نظر الإنسان العادي الذي يصيب ويخطئ، فإذا تعدي الحاكم حدوده قال له الشعب: لا بملء فيه» (١).

٢- المجال الديني:

فكر الأفغاني يمثل الفكر الديني المستنير، ويتجلى ذلك في تعامله مع قضايا المجتمع الذي عاش فيه، ودراسة قضاياه، والعكوف على إيجاد حلول مستنبطة من القرآن والسنة، هذه نقطة، والأخرى إذا قيست عقليته بعقول معاصريه، وأقواله بأقوالهم، وأسلوب تناوله لقضايا الدين بأسلوبهم، كانت نظرته أشمل وأرحب، تتجاوز حدود المعنى الظاهري لتتفهم غرض الآية ومقصودها، عاش مشاكل العالم العربي الإسلامي، وأهمته همومه وأحزانه، ومآسيه فعكف على تحليلها، وتحديد أمراضه، فأنجع سبل الفلاح كانت المشكلة المطروحة – ومازالت مطروحة في الساحة – هي: لماذا تأخر العرب وتقدم غيرهم؟ وهم أصحاب دين عظيم، وماضي زاهر، وحضارة مجيدة، لماذا تقدم غيرهم في مدارج الرقي، وهم ساكنون في مكانهم؟

– لماذا أصبحت أوروبا هي موئل العلم والصناعة والتقدم؟

– أين قيم الإسلام وفضائله؟ أين مقاصده وغاياته؟ أين أهدافه ومبادئه؟

– أين جوهر الدين الذي اختفى تحت ركام من الشعوذة والخرافة والأسطورة؟

– أين العقلية الناضجة المتفتحة، التي صنعت العلم، وأبدعت التجربة، ووضعت قواعد المنهج العلمي؟

الآن امتلأت العقلية بالخزعبلات، والأساطير، وتخلت عن دور الريادة، وأصبحت تقتات من موائد الغرب.

بدأ الأفغاني جهوداً مكثفة لإعادة الروح الحقيقية للإسلام، كدين صانع للحضارة يحث على النظر العقلي، ويدعو أتباعه للبناء والعمل لتطوير حياتهم، وتحسين معيشتهم،

(١) زعماء الإصلاح ص٧٥.

والأخذ بأسباب العمران والتقدم، فالدين هو الركن الركين في كل حركة يخطوها المسلم في حياته.

ونستطيع أن نلخص حركة الأفغاني داخل مجال الدين في أكثر من دائرة.

- الجامعة الإسلامية:

بدأ الأفغاني دعوته إلى الوحدة الإسلامية، من خلال لم شعث الأمة، وجمع دولها تحت ما سمي في ذلك الوقت بالجامعة الإسلامية وكانت تعني، وحدة العالم الإسلامي من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب تحت زعامة سلطان العثمانيين.

وقد كرس الكثير من مقالاته، ونشاطاته، وتنقله داخل المملكة الإسلامية لهذه الدعوة وأيده الكثير من المفكرين في هذا التوجه، حيث كان السلطان العثماني يمثل في ذلك الوقت الملجأ الذي تلجأ إليه الدول وتحتمي به ولو من الناحية الصورية، وكان البعض يثقون في العثمانيين رغم التدهور الواضح الذي لحق بدولتهم، وانهزامها أمام روسيا، وطمع أوروبا في ممتلكاتها، لكنها في النهاية – رغم كل السلبيات – دولة إسلامية. وحامية للعالم الإسلامي، وكان الأفغاني يأمل أن يوحد شمل المسلمين في دولة قوية ويعتقد أن الدولة العثمانية تستطيع أن تجدد شبابها وتعيد فتوة الإسلام الأولى، وقد مد الأفغاني يده للسلطان عبد الحميد، وحاول معه محاولة جادة وصادقة. ولكن غلبت على الأخير نزعة الاستبداد والسيطرة، وحب الانفراد بالحكم، فضلاً عن أن تيار الاستعمار كان جارفاً، وكانت المعارضة الداخلية بزعامة جماعة تركيا الفتاة قوية ضده، فتضافرت كل هذه العوامل في فشل خطة الجامعة الإسلامية.

ويرى البعض أن ما ناله السلطان عبد الحميد من النجاح في سياسته لاسيما في سبيل إقامة الجامعة الإسلامية إنما كان على يد الأفغاني المتوقد الهمة المشتعل العزم[1].

ولما رأى الأفغاني من خلال استقرائه لحوادث التاريخ، وطبيعة الواقع الأليم الذي يعيشه العالم الإسلامي صعوبة تحقيق إقامة حكومة إسلامية تخضع لرئيس واحد «اكتفى

(١) لوثرب: حاضر العالم الإسلامي جـ١ ص٣٠٦.

بالدعوة إلى أن ترتبط هذه الحكومة بروابط محكمة ويكون لها مقصد واحد وتحكم الأقطار كلها بحكومات إمامها القرآن وأساسها العدل والشورى، واختيار خير الناس لتولي الأمور» [١]. وهذا مظهر يدل على حيوية الفكر، والتعامل مع الوقائع، وإيجاد حلول لكل موقف كي يعطي ثماره.

ومن الجدير بالذكر أن فكرة وحدة العالم الإسلامي بزعامة تركيا، عارضها الكثير من المفكرين لاعتقادهم أنها ليست جديرة بقيادة العالم الإسلامي، وإلى هذا الرأي ذهب الكواكبي في كتابه «أم القرى» حيث طالب بوحدة العالم الإسلامي تحت زعامة الحجاز لأنها أطهر البقاع، ومنبت النور والرسالة.

- الدعوة إلى فتح باب الاجتهاد:

بسبب التدهور الذي لحق بالدولة العربية الإسلامية لاسيما بعد تدمير بغداد على يد هولاكو، أتى عليها عصور من الاضمحلال والركود، وكان من جراء ذلك، إغلاق باب الاجتهاد، وظل الفكر الإسلامي يجتر حصيلته السابقة، ويقلب في دفاتره القديمة، وعكف الفقهاء والمحدثون وعلماء الكلام وأصحاب التفاسير يعيدون صياغة الأفكار السابقة بأسلوب بلاغي، وينقبون عن التراث القديم علهم يجدون رأياً يكرروه، أو قضية انتهى منها القدماء فيعيدون طرحها ثانية، ويشرحونها، ويضعون لها الهوامش، وهذا أيضاً ما فعلوه بالمتون، شرحوها بهوامش ثم أضافوا إليها حاشيه، وتوقفت حركة الإبداع والابتكار، والتأليف الجاد، أو اكتشاف نظريات جديدة أو آراء طريفة، وساد التقليد والجمود.

هذا الوضع المتردي أثار انتباه الأفغاني، وهالته الحالة الفكرية والدينية التي وصل إليها علماء عصره، والفكر الإسلامي عامة وجموده أمام القضايا الجديدة التي تواجه المسلم فضلاً عن قضايا العصر التي ظهرت وبإلحاح، لذلك أخذ على عاتقه المطالبة بفتح باب الاجتهاد، مواكباً الحركة الوهابية في دعوتها إلى ذلك. ويتساءل في حيرة: «ما معنى

(١) زعماء الإصلاح ص٨٤.

باب الاجتهاد مسدود، وبأي نص سد باب الاجتهاد؟ أو أي إمام قال: لا ينبغي لأحد من المسلمين بعدي أن يجتهد ليتفقه في الدين؟ أو أن يهتدي بهدي القرآن وصحيح الحديث. أو أن يجد ويجتهد لتوسيع مفهومه منه والاستنتاج بالقياس على ما ينطبق على العلوم العصرية وحاجيات الزمان وأحكامه ولا ينافي جوهر النص.. فالقرآن ما أنزل إلا ليفهم ولكي يعمل الإنسان بعقله ليتدبر معانيه، وفهم أحكامه والمراد منه»[1].

إن عبقرية هذا الرجل تتجلى في نبذه التقليد وعدم الجمود عند ظواهر النصوص، والدعوة لإعمال العقل فيها، والارتكاز على النظرة العقلية في كل المسائل الدينية هذه نقطة والأخرى، إدراكه أن معطيات النصوص القرآنية لا تنتهي، وأنها تحتاج إلى عقل واع، وفكر ثاقب، وبصيرة نافذة لأن «كلمات الله» لا تنفذ، ولكنها ستظل تمد الإنسان في كل زمان ومكان بذخيرة من القواعد، والمبادئ العامة التي يستطيع ان يسير بها حياته، لذلك عكف على آيات القرآن الكريم والسنة النبوية، يستنطقها هذه المعطيات، ويسبر أغوارها، ويستنبط منها الأحكام ويتخذها حلولاً قويمة لحل المشكلات المستجدة على أوضاع المجتمع الإسلامي، ومن هذه القضايا:

- الدعوة إلى مسايرة أفكار العصر، والأخذ بالمنهج كما ساد في أوربا، بل والانفتاح على الغرب والاستفادة بمبادئ العلم والصناعة وجل الأفكار التي تتفق مع العقيدة الإسلامية.

- دفع شبه الجبر عن العقيدة الإسلامية، وتنفيذ مقولة أن القضاء والقدر سالب لحرية الإنسان، لأن العلم الإلهي القديم الشامل، لا يقيد حركته، ولا يمنعه من استخدام حريته في مواجهة أحداث الليالي وتصاريف الأيام. والإنسان يشعر من نفسه أنه قادر على الفعل وضده، ويدرك بواسطة عقله كيف يميز بين الخير والشر، ومن أبرز الأدلة على الحرية الإنسانية، التكليف الإلهي، ومن ثم على المسلم أن يسعى ويجد ويجتهد، ويبذل قصارى جهده في أداء الأمانة، وتحمل مسئوليته تجاه أحداث حياته.

(١) الأعمال الكاملة ص٣٢٩-٣٣٠، وأيضاً الدكتور عثمان أمين: رواد الوعي الإنساني ص٢٩.

- معالجة قضية المرأة في عصر أصبحت فيه، كم مهمل، وأداة للمتعة، وإنجاب الأولاد، ونظر إليها أنها أقل في القدرات العقلية من الرجل. فدعا إلى تعليمها، وتلقينها مبادئ دينها لكي تحسن تربية طفلها، فهو طفل بالفعل ورجل بالقوة، وتنهض بإعداد جيل المستقبل. وأفتى بسفورها، أي بكشف الوجه واليدين، ما لم يكن ذلك وسيلة للفجور. وهذه الفتوى كانت ثورة في ذلك الوقت وأدت إلى هجوم الفقهاء، وأنصاف رجال الدين عليه، واتهامه بكافة صنوف التهم التي يتهم بها كل محدد في كل عصر.

إن الأفغاني كان عنده من وضوح الرؤية، وسعة الأفق ما يدعوه إلى القناعة الكاملة بأن «الشريعة الإسلامية الثابتة بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، المجردة من الآراء المذهبية المرتبطة بثقافات وأعراف الناس في عصور مختلفة، لم تزل ديناً وواقعاً تشكل المحور الفطري الثابت لحياة الإنسان في العصر الحديث» [(١)].

٣- المجال العلمي:

إن مناحي شخصية الأفغاني تدعو للإعجاب أولاً، والتأمل ثانياً فكيف جمع كل هذا الفضل والعلم رغم رحلاته المتعددة، وكيف استطاع أن يلم بعلوم عصره وكيف استطاع أن يفهم أبعاد الحاضر المؤلم في ناحيته العلمية، ويدرك أن من أسباب تخلف المسلمين، هو الوقوف أمام الماضي موقف العبادة والتقديس، والتمسك بالقديم حتى لو كان وهماً من الأوهام، وأسطورة من الأساطير.

لاشك أن الأفغاني دهش للعقلية الجامدة التي قابلته في كل مكان، وقبولها القضايا كأنها حقائق مسلم بها، وسيطرة البدع والخرافات عليها، والأسلوب العقيم الذي كانت تلقي به الدروس والثبات والتكرار فيها، وحشو العقول بالترهات الفارغة التي تؤدي إلى التخلف ولا تعمل على التقدم، ودهش أيضاً من علماء عصره العاكفون على القديم والمتون والمفارقة هائلة بينهم وبين واقعهم، وتزلفهم للأمراء والسلاطين، وتناحرهم على فارغ القول، والسفسطة غير المجدية، وقضايا تجاوزها العصر بمراحل ودخلت في ذمة التاريخ.

---

(١) محسن عبد الحميد: الأفغاني المفترى عليه ص١٩٦.

لقد رأى بثاقب نظره ومن خلال بصيرته النافذة أن مهمة العالم ليست في تقلد المناصب بل بدوره النشط في الإرشاد والتعليم، وتتسامى مكانته في إجادته للعلوم مع حسن العمل بها.

الحقيقة أن الثورة التي أحدثتها في المجال العلمي، لم تكن أقل من الثورة التي أحدثها في المجال السياسي والديني، فقلما انتشر العلم في مكان إلا هتف بالحرية[١].

وفي العصر الحاضر، ربط الدكتور طه حسين بين العلم والحرية وبين الجهل والاستبداد فهما متلازمان، كما أن الفقر والكفر متلازمان أيضاً. فمع العلم تزدهر الحرية، ومع الحرية يتقدم العلم، فالعلاقة بينهما علاقة طردية. وكل منهما وسيلة وغاية لتطوير حياة الإنسان إلى الأفضل.

وبعد أن شخص حالة الواقع المتخلف، عمل على إيجاد الحلول وطرحها على الساحة، من خلال المقالات المكثفة التي كتبها في الصحف فضلاً عن «العروة الوثقى» وكرس كل جهوده لتحرير العقلية المسلمة من رواسب الماضي، وإزالة الأساطير التي حشيت بها ونفض الأوهام التي سكنت داخلها، وفك أغلالها.

ومن خلال الندوات التي عقدها لطلابه تبنى أسلوباً جديداً في التدريس، يعمل على استخدام الاستدلال، وإعمال العقل، وإثارة الوعي، والشك في الأفكار الموروثة، فشرح لطلابه مختصراً في النحو بشكل عصري[٢]، ودروساً في التاريخ، وأحيا الدراسات المنطقية وأولاها عناية خاصة وبذل جهداً كبيراً لبعث الفلسفة الإسلامية بعثاً جديداً. ويروي الإمام محمد عبده، أن دروس الأفغاني كانت بمثابة بدعة لا عهد للناس بها من قبل، أو ثورة فكرية، وصفها المسلمون المتزمتون وأهل الجمود من الأزهريين بالكفر والمروق عن الدين[٣]. نعم كانت أغلب العلوم جديدة لم يألفها الناس ولم يهضمها علماء عصرهن وفي وسط هذا الجو الساكن المائت المتمسك بالقديم، لابد أن يتهم أمثال الأفغاني وأضرابه

(١) أرسلان: حاضر العالم الإسلامي جـ٢ ص٢٩٢.
(٢) المغربي: جمال الدين الافغاني ص٢٨.
(٣) عثمان أمين: محمد عبده، رائد الفكر المصري ص٨٦.

بالمروق من الدين والتجديف فيه، ومن ثم تأتي أهمية هذا الرجل وقدرته على تجاوز «استاتيكية» عصره ومجتمعه، من خلال التعامل معهما بعقلية «ديناميكية» قادرة على الفهم، واستيعاب القضايا المعاصرة، مثل علاقة الدين بالعلم، والتعامل معها بمنظور عقلاني، يعتمد على قواعد المنطق، ومبادئ الاستدلال والأدلة البرهانية.

والمتتبع لمقالاته في «أعماله الكاملة» يلمس ذلك لمس اليد، مع اعتماده على معطيات القرآن الكريم والسنة النبوية.

يقول الأفغاني: «إن الدين لا يصح أن يخالف الحقائق العلمية، فإن كان ظاهره المخالفة وجب تأويله، وقد عم الجهل وتفشى الجمود في كثير من المتردين برداء العلماء، حتى اتهم القرآن بأنه يخالف الحقائق العلمية الثابتة، والقرآن بريئ مما يقولون، ويجب أن يجل عن مخالفة العلم الحقيقي خصوصاً في الكليات» [(١)].

وربما يكون تأثير الأفغاني في المجال العلمي، أظهر كثيراً في مصر على وجه الخصوص، بسبب تلامذته الذين توافدوا عليه، من أقطار شتى فحفظوا، ووعوا، وأعادوا صياغة أفكاره ثانية، وتصديرها للجماهير كل بأسلوبه، ولعل تلميذه محمد عبده يمثل بمفرده منارة كاملة للإشعاع الفكري والاجتماعي.

ويصور «أرسلان» بأسلوبه الأدبي البليغ أبعاد الحركة الفكرية التي أحدثها الأفغاني في مصر فيقول: «إن قدومه كان مبدأ الحركة الفكرية التي عمت في البلاد العربية الإسلامية وسائر دول الشرق ولم تزل تنمو وتزدهر رامية إلى تعرف الشرق بالمعارف الجديدة التي تفوق بها الغرب وإعادة الشرق إلى سيرته الأولى من الرقي والازدهار..» . وكان للأفغاني حلقة خاصة في منزله انتظم فيها عدد من أدباء القطر المصري والسوري واللبناني، يستفيضون من بحر حكمته، ويستمطرون صواب صوابه، اشتهر منهم محمد عبده، واللقاني، وعبد الكريم سلمان، وسعد زغلول[(٢)]. ولازمه ثلة من أدباء الشام

(١) زعماء الإصلاح ص١١٤.

(٢) راجع عن هذه الشخصيات كتاب الدكتور محمد كامل الفقي: الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة ص١٢٠-١٢١-١٩١-٢٩٣.

النازلين بمصر مثل: أديب إسحق، وسليم النقاش، وسعيد البستاني وغيرهم.. وكان لساناً عالياً لا عهد للناس بأمثاله، وأسلوباً راقياً انقطع منذ قرون عديدة.. فأحدث في الأمة حركة أفكار لم تكن قبله، ونفخ فيها روحاً عظيمة ظهر عليها طابع عرفانه وفضله، فنشطت همم واستجدت عزائم، وهبت قوى، وفاضت قرائح[1]. وقد تفرق هؤلاء التلاميذ يحررون المجلات، ويخطبون في الجماهير، ويجددون الدراسات الأدبية العربية، ويحررونها من السجع المتكلف، والتشبيهات السقيمة، ومن مدح الأمراء والملوك، وينفخون روح الثورة في النفوس، ويوقظون العقول السادرة في تفكيرها الأسطوري.

وهكذا كان الأفغاني مدرسة هادية ومرشدة، وداعية من دعاة تطوير التعليم والأخذ بأسباب النهضة الحديثة، وفي كل هذه المناحي كان يعتمد على القرآن والسنة أي أنه قرب بين العلم والإيمان وجمع بين الأسباب الروحية والأسباب المادية في بوتقة واحدة، لكي تنصهر في شكل مبادئ عملية تخدم الواقع العربي الإسلامي وتدفعه إلى الإقدام في طريق البناء والتقدم. وبالإضافة إلى ما سبق، حارب الأفغاني أيضاً التسلط والرشوة، والظلم الاجتماعي متمثلاً في الاقطاع الزراعي، الذي بدأ في عهد محمد علي قائلاً عبارته الشهيرة: «أيها الفلاح لماذا لا تشق قلب الإقطاعي الظالم، كما تشق الأرض بمحراثك» .

وفي ختام الحديث عن نشاط الأفغاني السياسي والاجتماعي والعلمي، نقول أن جهد الرجل كان متعدد الأبعاد، متنوع المجالات، فلم يترك مجالاً من المجالات إلا حاول تشخيص أمراضه، وإيجاد الحلول لها، وقد كرس عمره وأعماله وأقواله، في عملية التنوير، وتحرير العقلية العربية من الجهل والخرافات، وكسر قيد الجهل الذي ترسف فيه عن طريق نشر التعليم، وإيجاد منهج جديد، وأسلوب مبتكر يواكب العصر. كانت غاية الأفغاني بث روح التمرد والثورة في النفوس للنهوض من كبوتها والمطالبة بحريتها، سياسياً، واجتماعياً، ودفعها إلى المطالبة بالحكم الديمقراطي واقتداء بالحكومات الإسلامية في عصر الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين، وأسوة بالشعوب الأوروبية.

(١) أرسلان: حاضر العالم الإسلامي جـ٢ ص٢٩١.

٤- تصوره لسعادة الأمة الإسلامية:

متابعة لعرض فكر الأفغاني، نتوقف بمزيد من العرض والإيضاح، أمام تصوراته التي طرحها لإتمام سعادة الأمم الإسلامية، وأسس تقدمها، في كتابه المشار إليه آنفاً، وهو «الرد على الدهريين» .

وميزة هذه التصورات، أنها مازالت حيوية وفعالة وملائمة لطبيعة المجتمعات العربية المعاصرة، رغم مرور ما يقارب مائة سنة عليها هذه نقطة.

والثانية، أنها تستند في جوهرها على مبادئ القرآن الكريم والسنة المطهرة، وتستمد جذورها من حركة التاريخ الإسلامي ومن تراث مفكريه وعلمائه وزعمائه.

والثالثة، أن نفس هذه التصورات تعالج نفس القضايا المطروحة على الساحة العربية والتي تواجه المواطن العربي المسلم أيا كان موقعه أو موضعه، فهي تتحدث عن الأصالة والمعاصرة، وكيف نجمع بين الماضي والحاضر، ونعمل على تشكيل العقل العربي المعاصر حتى يستطيع أن يصمد في وجه التحديات العنيفة التي تواجهه على الصعيد العالمي وإليك هذه التصورات:

أولاً: تحرير العقل المسلم من كدر الخرافات، وصدأ الأوهام، وقيد الأساطير، لأن العقيدة الباطلة لوتدنس بها عقل من العقول، لأصبحت حجاباً كثيفاً، يحول بينه وبين الحقيقة المرئية ويختلط عليه الوهم والواقع، وتضيع المعالم الرئيسية بين الخيال والحقيقة.

إن الإنسان المسلم عليه أن يدرك إدراكاً واضحاً لا لبس فيه، ويؤمن إيماناً يقينياً لا ظن فيه بأن الله هو الكبير المتعال وهو الفاعل الوحيد في الكون، يقول للشيء كن فيكون، وأن الملجأ إليه فهو الحصن الأمين، والملاذ لكل الضعفاء والمساكين والتوجه والتضرع يكون إليه، والاستشفاع يكون بأسمائه وصفاته، والنذر له، والعبودية الخالصة لذاته فهو النافع والضار، والواهب والممسك، والباسط والقابض والأول والآخر.

يقول الأفغاني مصوراً طبيعة تفكير المسلم: «ترى الواهم المسكين يقضي حياته بين

رجفة واضطراب، يتطير من طيران الطيور، وحركات البهائم، ويضطرب من هبوب الرياح، وينزعج لقصف الرعد والتماع البرق، وبهذا يكون ألعوبة في يد المحتالين، وصيداً في حبائل الماكرين والدجالين» .

وهذا أروع تصوير وأحسنه للعقل المسلم آنذاك، قصور في تفسير مظاهر الطبيعة، والوقوف حيالها عاجزاً لا يستطيع حيلة تجاهها فضلاً عن السيطرة عليها، يخاف من كل حركة ونأمة أتت من الحيوان أو من عناصر الطبيعة، يكاد يتضرع للرياح، ويسجد للبرق، ويصلي للرعد. إنسان هذا حاله، وهذه طريقة سلوكه وتفكيره، فما أسهل السيطرة والاستحواذ على أموره إنه ريشة في مهب شهوات الجند والأمراء والحكام.

ثانياً: بث روح الطموح في نفوس كل المسلمين، وإذكاء عناصر القوة عندهم وتوجيه همتهم وجهة الشرف والبطولة، وغرس مبادئ المساواة بينهم جميعاً دون تفاضل عنصر على آخر، أو تفوق جنس على نظيره، إذ إنهم ينتمون لأصل واحد، والتفوق والتمايز والتفاضل قائم على أساس التقوى والعمل والكفاح، الذي يأخذ بيد الأمة فيضعها على مدارج الرقي والتقدم.

من هذا المنطلق البسيط الواضح، يجد كل فرد من أفراد المجتمع أنه جدير بأية مرتبة من مراتب الكمال الإنساني، وله هدف مجدد بسعي لتحقيقه.

وبالجملة إيجاد روح فنية تتلبس الأمة الإسلامية في وثبتها المعاصرة.

يقول الأفغاني في عبارات مركزة موحية: «إن دين الإسلام فتح أبواب في وجوه الأنفس، وكشف لها عن غايته، وأثبت لكل نفس صريح الحق في أي فضيلة، وأنبأ كل ذي نطق بوفرة استعداده لأي منزل من منازل الكرامة، ومحق امتياز الأجناس، وتفاضل الأصناف وقرر المزايا البشرية على قاعدة الكمال العقلي والنفسي لا غير» .

من الملاحظ أن الأفغاني في هذين التصورين يعتمد أول ما يعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية، إذ أن تحرير العقل الإنساني من الأوهام، والعبادات الباطلة، والسجود للشمس وتقديس مظاهر الطبيعة، كانت قضية القرآن الأولى، للإعلاء من شأن العقل،

والتأكيد على أن الملجأ الوحيد هو الله، المعبود الواحد، وهو المسيطر على الكون والمحرك له.

هذه القضية حمل عبئها بعد ذلك كل المفكرين والمجتهدين من أعلام الإسلام لاسيما المعتزلة، الذين حرروا عقول الناس من سطوة الأوهام[١] وفلاسفة الإسلام بدءا من الكندي والفارابي وابن سينا، وانتهاء بالحركة الوهابية التي أسسها محمد بن عبد الوهاب (١٧٩١م)، ومروراً بابن رشد، وابن تيمية (٧٢٨هـ) وجهودهما في هذا المجال مشهورة ومشكورة[٢].

ولاشك أن الأفغاني تأثر بتعاليم ابن تيمية وأفكاره، وكذلك بآراء الوهابيين[٣]، أما في التصور الثاني فهو يأخذ بالجانب الإيجابي من فلسفة فردريك نيتشه (+١٩٠٠م) كيف نصنع الإنسان المسلم القوي، ذو الروح الوثابة، والنفس الطموحة، والإرادة العنيدة؟ كيف نبني ملامح هذا الإنسان الذي يتحدى الصعاب، ويستهين بالأهوال، ويقهر المستحيل، ويرتاد الآفاق، ويضرب في مجاهيل الصحراء يكتشف أسرارها ويحولها إلى جنة خضراء.

ثالثاً: تأسيس عقائد الأفراد وعقل الأمة بمجموعها، على أساس الحجج القوية، والأدلة الصحيحة، سوالبراهين المقنعة، وأن تتحاشى عقولهم مطالعة الظنون في عقائدها.

أي أن الأفغاني يريد أن يقرر النزعة العقلية كوسيلة من وسائل المعرفة، سواء معرفة الذات أو معرفة العالم الخارجي.. وهذا هو جوهر دعوة الإسلام، بل إن المعالم التي تؤكد أنه خاتم الديانات هو اعتماده على العقل، واستبعاده النزعات الغيبية فضلاً عن مطالبته المعارضين والمجادلين بالبرهان: «قل هاتوا برهانكم..» .

يقول الأفغاني: «إن الدين الإسلامي يكاد يكون منفرداً بين الأديان بتقريع المعتقدين

(١) الجاحظ: الحيوان ج٣ ص١٤٠.
(٢) محمد الزيني: ابن القيم وآراؤه الكلامية ص٧.
(٣) محمد إقبال: تجديد التفكير الديني ص١٧٥.

بلا دليل، وتوبيخ المتبعين للظنون، وتبكيت الخابطين في عشواء العماية، هذا الدين يطالب المتدينين أن يأخذوا بالبرهان في أصول دينهم، وكلما خاطب خاطب العقل، وكلما حاكم حاكم العقل» .

إن هذا التصور الرائع، الذي يطرحه الأفغاني، قد يمر به القارئ المعاصر، دون أن يلفت انتباهه أو يحرك جوانيته، لأنه يعيش عصر العلم، الآخذ بالتصور العقلي، وقواعد التفكير السليم. ولكن الحقيقة تكمن في أهمية هذا التصور حينما نضعه في إطاره التاريخي والفكري الذي قيل فيه، وبالمقارنة مع أسلوب الفكر في ذلك العصر، الذي كان من أبرز سماته، سيطرة الخرافة على عقول العوام والمتعلمين، وعلو شأن الدجالين والمشعوذين، وانحراف الناس عن الأخذ بالأسباب والركون إلى التواكل، والميل إلى الخنوع، والبلاهة، وموت الهمم، وانسحاق العزائم، والاعتقاد في الأحجبة، وتقديس الأضرحة، والتشفع بالقبور وبأصحابها، والنذر لغير الله – أقول بالمقارنة مع هذا الوضع، تظهر بوضوح مدى أهمية دعوة الأفغاني وخطورتها، ومدى فعاليتها في نقل التفكير العربي من طور متخلف إلى طور أكثر واقعية، وأكثر اتفاقاً مع مبادئ الدين، وانسجاماً مع مقرراته.

الرابع: أن يكون في كل أمة طائفة أو جماعة يختص عملها بتعليم سائر الأمة والنهوض بأحوالها العلمية، وتنوير عقلها بمفاهيم الإسلام الصحيحة، وطائفة أخرى تقوم على تهذيب النفوس وتتولى تربيتها، وتغرس في أعماقها قيم الدين الأصيلة، ومبادئه العليا، ومعانيه السامية، وتكشف عن الأوصاف الفاضلة وحدودها، وتمثل للمدارك فوائدها، ومحاسن غاياتها، وتفتح مستور الرذائل وخبثها، وخطورتها على القيم وعلى نفوس الأفراد، وتشق الحجاب عن مضارها. ثم يؤكد الأفغاني أن من أهم الأركان الدينية في الدين الإسلامي هاتين الفريضتين: نصب المعلم ليؤدي واجب التنوير والتعليم، وإقامة المؤدب الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر.

ولنا هنا وقفة، لنؤكد أن النبع الفياض الذي يستقي منه هذا المفكر منهجه هو القرآن الكريم متمثلاً قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾[التوبة:١٢٢].

وأيضاً تاريخ الإسلام، واستقراء سير رجاله لاسيما تاريخ رجال المعتزلة، إذ قام واصل ابن عطاء (ت١٣١هـ) بدور كبير في إرسال الرسل إلى الأقطار الإسلامية التي يكثر فيها أصحاب النحل المناوئة، لنشر عقيدة الإسلام ومجادلة أنصار المذاهب الثنوية.

وفي نفس الوقت، كان مبدأ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهو أحد الأصول الخمسة لمبادئ الاعتزال[١] يسمع صداه على أرض الواقع، ويطبق تطبيقاً ملموساً سار أمره في التاريخ مضرب الأمثال.

والوقفة الثانية أن هذه التصورات تشتمل على جانبين، جانب التقويض والهدم أي تطهير العقل من كل المعلومات المسبقة، والمشكوك في صحتها لأنها في مجملها خرافات وأوهام، وجانب الإعادة والبناء من خلال طرح المنهج السليم وهو الاحتكام إلى العقل وقواعد التفكير. وهذا المنهج الذي يطرحه الأفغاني شبيه بمنهج الغزالي (٥٠٥هـ) الذي طرحه في «المنقذ من الضلال» حينما شك في الحواس، ثم في الحياة الشعورية ثم في العقل، لكي يخلي من عقله كل تصور سابق ثم بدأ يعيد ترتيب أفكاره، ولكن بينما اعتمد الأفغاني على العقل في تقرير الحقائق المتصلة بالمجتمع أو الطبيعة أو الدين، اعتمد الغزالي على المجاهدات الصوفية، والحدس القلبي، والأنوار الإلهية، والفيوضات الربانية.

كذلك هناك وجه شبه آخر بين منهج الأفغاني، ومنهج فرنسيس بيكون (+١٢٢٦م) لاسيما في جانبه الهدمي حينما تكلم عن أوهام الجنس وأوهام الكهف وأوهام المسرح وهي مجمل الأفكار الخاطئة التي نقع فيها بسبب طبيعتنا البشرية، أو بسبب البيئة التي نشأنا فيها، والنظر إلى الموضوع من زاوية أحادية، أو الأفكار الخاطئة التي نثق في صحتها بسبب تقليد الآباء والأجداد والاعتقاد في صدق أفكارهم، وأخذها على علاتها بدون تمحيص[٢].

أما وجه الشبه الأخير وهو بين التصور الأول والثالث، والقاعدة الأولى من قواعد المنهج الديكارتي، وهي قاعدة اليقين التي تقول: أن على الإنسان ألا يقبل شيئاً على أنه

(١) محمد الزيني: شهداء الفكر في الإسلام ص١٢٥.
(٢) د. زكي نجيب محمود: المنطق الوضعي جـ٢ ص١٨٨، يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة ص٤٨.

حق إلا إذا عرفت يقيناً أنه كذلك، ولا يدخل في أحكامه إلا ما يتجلى أمام عقله في وضوح وتميز بحيث لا يكون أمامه أي مجال للشك فيه ثانية[١].

خلاصة القول أن هذه التصورات التي طرحها الأفغاني لسعادة الأمم وتقدمها، مازالت حية نابضة وفعالة، تتسق تماماً مع المفاهيم المعاصرة التي يطرحها المفكرون اليوم، وتصلح أن تكون مبادئ قويمة، وقواعد أساسية نأخذ بها لتطوير حياتنا إلى الأمام، والأخذ بأسباب التقدم، فهي تشتمل على بعدي الحضارة، البعد الروحي والآخر المادي.

ثامناً: أثره ومكانته:

من نافلة القول التحدث عن أثر الأفغاني ومكانته، فهو أصبح باتفاق جميع المؤرخين، إلا ما ندر، زعيماً من زعماء الإصلاح[٢] ورائداً من رواده، بل ومن رواد الوعي الإنساني[٣]. أيضاً وهو العامل المجدد المجتهد في أمور الدين والدنيا، والداعي إلى التنوير بكل ما تحمله هذه الكلمة من مضامين، وإلى الأخذ بأسباب الحضارة المعاصرة، وهو المفكر الجريء الجسور الذي وقف في وجه بريطانيا العظمى في كل مكان يكشف دسائسها واستغلالها للشعوب.

ووقف في وجه الاستبداد بكل أنواعه، استبداد الجند والأمراء والملوك والقياصرة والسلاطين، ثم حثهم على العدل والإنصاف بين الرعية، وطالبهم بحقوق الشعوب في الحرية والشورى والعدل والمساواة، ونصحهم الأخذ بأسباب النهضة والإصلاح.

ووقف ضد الإقطاع وظلمه، وقسوة أصحابه، وظلمهم للفلاح، واستغلال عرقه وجهده. وهاجم العلماء المتمسكون بالماضي، الجامدون عند حدوده، القائلون: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ**﴾ [الزخرف:٢٢] وألغوا ملكة العقل والتفكير، وقتلوا روح الإبداع والابتكار في نفوس مريديهم وتلامذتهم.

وهاجم أنصاف رجال الدين الذائدين عن مناصبهم وكراسيهم، وتزلفهم إلى الأمراء

---

(١) عثمان أمين: ديكارت ص١٣٦.

(٢) اسم كتاب العلامة أحمد أمين وفيه ترجمة وافية عن الأفغاني ص٥٩-١٢٠.

(٣) اسم كتاب الدكتور عثمان أمين وفيه ترجمة موجزة للأفغاني.

وخنوعهم، وبيعهم ضمائرهم، وكشف زيف خداعهم ودجلهم.

وهو الرجل الذي وهب حياته وعمره، وجهده وفكره في سبيل إنهاض الشعوب العربية الإسلامية، وهو الذي طورد في كل مكان حل فيه، ودبرت ضده المكائد والدسائس بسبب أفكاره الجريئة الثورية الداعية إلى التغيير للأفضل.

لكل هذه الحيثيات وغيرها كثير، عد الأفغاني على رأس المفكرين الذين أثروا حياتنا وكانوا أحد عوامل النهضة العربية الإسلامية واليقظة الحديثة.

أما تأثيره فقد كان قوياً ومدوياً وشاملاً جميع المستويات لأنه خلف جمعاً من التلاميذ الأوفياء الذين حملوا مشعل التنوير، وأثاروا الوعي، ورفضوا التقليد وبدأوا يجتهدون كل في مجاله: سياسياً ودينياً وعلمياً واجتماعياً، وحطموا الأفكار الموروثة البالية التي تعوق تقدم المجتمع، وحاولوا قدر استطاعتهم تطهير عقلية أفراد مجتمعهم من الأوهام والخرافات والشعبذات، وثاروا فعلاً على الأوضاع القائمة: وأصبح للأفغاني تلاميذ في كل مكان وفي كل قطر، وفي كل مجال من مجالات المعرفة، يعلنون تعاليمه، ويدعون لها، يشرحونها ويطورونها ويطبقونها على أرض الواقع[1].

وإذا كان المؤرخون يقولون: لو لم يكن للنظام (ت٢٢٢هـ) المتكلم المعتزلي، تلميذاً إلا الجاحظ (٢٥٥هـ) لكفاه فخراً ومجداً، ولو لم يكن لابن تيمية (٧٢٨هـ) المفكر الجريء الثائر تلميذاً إلا ابن قيم الجوزيه (٧٥١هـ) لكفاه شرفاً ونبلاً. كذلك نقول: لو لم يكن للأفغاني من التلاميذ إلا الإمام محمد عبده (١٩٠٥م) لكفاه فخراً ومجداً وبطولة. بل إن ما كتب عن الأفغاني وهو كثير يعد شهادة صادقة لحيوية فكره، ومسايرته للعصر واعترافاً بسمو نفسه وعلو همته، وقوة شخصيته، وصدق توجهاته، وتأثيره الكبير في الأجيال اللاحقة.

لقد تبوأ الأفغاني مكانة كبيرة في الفكر العربي الإسلامي أكبر من أن نشير إليها، رغم هجوم بعض الباحثين عليه، وتشكيكهم في عقيدته أو في وسائله وغاياته.

ونستأنس ببعض الشهادات الموجزة التي تؤكد أصالة فكر هذا الرجل وتضعه في

(١) زعماء الإصلاح ص١٠٨.

مصاف المجددين الكبار والمصلحين الثوريين الذين ترسلهم العناية الإلهية على تعاقب العصور.

يقول جولد تسيهر عنه: «من أعظم رجال الإسلام في القرن التاسع عشر» [١] ويقول لوثروب: «كانت سيرته كبيرة، فبلغ من علو المنزلة في المسلمين ما قل أن يبلغ مثله سواه.. وليس هناك قطر من الأقطار الإسلامية وطئت أرضه قدماه إلا كانت فيه ثورة فكرية اجتماعية لا تخبو نارها ولا يتبدد أوارها» [٢].

ويقول جورجي زيدان (١٨٦١-١٩١٤م): «إن تأثير الأفغاني في مصر كان أكبر من أي قطر آخر، زرع فيه بذور الثورة، وأيقظ الخامل، وحرك الخائف، وأرشد الجاهل، وألهب الحماس، وفجر كل ما في طاقته، ليصنع مجتمعاً قوامه الصدق، وركائزه الوعي والثقافة، ودين متطور، وإخاء بين البشر» [٣].

ويقول العلامة أحمد أمين (١٩٥٤م) بعد أن زار مقبرته في الأستانة عام (١٩٢٨م) ووقف أمامها – «هنا رقد محي النفوس، ومحرر العقول، ومحرك القلوب، وباعث الشعوب، ومزلزل العروش، ومن كانت السلاطين تغار من عظمته، وتخشى من لسانه وسطوته، والدول ذات الجنود والبنود تخاف من حركته، والممالك الواسعة الحرية تضيق نفساً بحريته» [٤].

ويقول الدكتور مدكور: «هو مصلح ديني وسياسي.. مجدد، طموح، يريد الوصول سريعاً إلى التجديد والإصلاح عن طريق الطفرة والثورة» [٥].

وقال عنه باحث معاصر: «كان لشخصيته وعبقريته أثر كبير في تكوين الشخصيات

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، مادة جمال الدين الأفغاني.

(٢) حاضر العالم الإسلامي جـ١ ص٣٠٥.

(٣) مشاهير الشرق، والمقصود بكلمة «دين متطور» تفسير قواعد الدين بما يتفق وقضايا العصر وتوظيف مبادئه لحل مشكلات المجتمع، ولا يوجد دين نتطور وآخر متخلف لأن مصدر الدين واحد وهو الله، إنما الخلاف في تفسير آياته ومقاصده، ومن المعلوم أن الأفغاني نبذ التعصب وقرب حول أصحاب الديانة اليهودية والمسيحية (تاريخ الإمام جـ١ ص٧٥).

(٤) زعماء الإصلاح ص١١٥.

(٥) في الفلسفة الإسلامية جـ١ ص١١٥.

وتنشيط العقول، وحل عقد الأوهام.. خلق في مصر جواً تسبح فيه كلمات الحرية والاستقلال والإنشاء والإدارة والشعب والشورى والحاكم»[١].

وقال آخر: «كان الأفغاني روحاً جديدة في الأمة بعثت فيها الحياة بإذن ربها، وكان المجاهد الزاهد المجدد لحيويتها، والمغير لأوضاعها، كان الأفغاني بحق إعصار الخريف الذي يعري الأشجار من الأوراق اليابسة حتى تورق في الربيع من جديد»[٢].

خاتمة:

هذه هي سيرة الأفغاني بإيجاز لاحظنا من خلالها أن حياته كانت جهاداً، ورحلاته كفاحا، وتنقله من دولة لأخرى ثورة على الأوضاع الفاسدة، ونزوله إلى دولة ما نذيرا وإنذاراً للحكام المستبدين، ورحيله عنها راحة وسلاماً للمستعمرين، وكان صمته تأملاً وفكراً، ونطقه عظة وعبرة وقوله حكمة بليغة، وحكماً صائباً يمس قضايا المسلم في يومه وغده[٣].

عاش رجلاً مكافحاً، ومات إنساناً مسلماً، مدافعاً عن مبادئ الحق والعدل والخير والمحبة والتعاون والحرية والمساواة، وكل القيم الأصيلة، والمثل العليا التي جاءت بها الأديان السماوية شريعة ومنهجاً للإنسان في حياته اليومية كي يحقق الطمأنينة والسلام بينه وبين نفسه، وبينه وبين الغير، وبينه وبين الله.

محمد الزيني

باب الزوار - الجزائر

٢٣/رمضان /١٤١١هـ

٨/ إبريل/ ١٩٩١

---

(١) بديع شريف: اليقظة الفكرية ص٥٩.

(٢) محسن عبد الحميد: الأفغاني ص١٠٨.

(٣) قد يعترض البعض على هذا المنهج الإطرائي، وذكر الجانب الإيجابي وإغفال الجوانب السلبية، مذكراً بأن هذا يخالف المنهج العلمي. ونحن نقره على ذلك، إذ أن أي شخصية مهما سمت، لها جوانبها السلبية ونواقصها المرتبطة بالنوازع البشرية، والأفغاني مثله مثل باقي خلق الله. إلا أن ما يهمنا في هؤلاء الرجال هو الصفات الإيجابية التي نستطيع الاقتداء بها ونتمثلها في حياتنا اليومية.

مراجع البحث:

- أرسلان (الأمير شكيب ١٩٤٦م): حاضر العالم الإسلامي، المجلد الأول، جـ١، ط دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣م.
- إقبال (محمد ت ١٩٣٩م): تجديد التفكير الديني، ترجمة عباس محمود، طبعة القاهرة، ١٩٦٨.
- أمين (أحمد ت١٩٥٤م): زعماء الإصلاح في العصر الحديث، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٩.
- أمين (د/ عثمان ت١٩٧٨م): رواد الوعي الإنساني، المكتبة الثقافية، القاهرة.
- محمد عبده، رائد الفكر المصري، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.
- جولد تسيهر (اجنتس): دائرة المعارف الإسلامية، مادة الأفغاني.
- حسين (د/ محمد): الإسلام والحضارة، ببيروت، ١٣٨٨هـ.
- رضا (محمد رشيد ت ١٩٣٥م) تاريخ الإمام، القاهرة، ١٩٣١م.
- زيدان (جورجي ١٩١٤م) مشاهير الشرق، القاهرة.
- الزيني (د/ محمد عبد الرحيم): ابن القيم وآراؤه الكلامية، طبعة دار أطلس، الجزائر، ١٩٩٣م.
- شهداء الفكر في الإسلام، دار الهدي، الجزائر، ١٩٩٣م.
- شريف (د.محمد بديع) اليقظة العربية في القرن التاسع عشر، (ضمن مجموعة أبحاث بعنوان دراسات تاريخية في النهضة العربية)، دار إقرأ نبروت، ١٩٨٤.
- عبد الحميد (د/ محسن): جمال الدين الأفغاني، المفترى عليه، مؤسسة الرسالة ببيروت، ١٩٨٣م.
- عمارة (د/ محمد) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، دراسة وتحقيق، القاهرة، ١٩٦٨م.
- الفقي (د/ محمد كامل) الأزهر وأثره في النهضة الأدبية، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٥م.
- قاسم (د/ محمود): جمال الدين الأفغاني، حياته وفلسفته، القاهرة.
- لطفي الله (ميرزا): جمال الدين الاسدبادي، ترجمة د/ عبد النعيم محمد حسين، دار الكتاب، بيروت، ١٩٧٣م.
- لوثروب (ستودارد): حاضر العالم الإسلامي، المجلد الأول جـ١، جـ٢ ترجمة عجاج نويهض بيروت، ١٩٧٣م.
- المغربي: جمال الدين الأفغاني، دار المعارف، سلسلة إقرأ، القاهرة.

obeikandi.com

كُتُب للمؤلف

- ابن القيم وآراؤه الكلامية، ط، الأمل، صنعاء، ١٩٩٩م.
- مشكلة الفيض عند فلاسفة الإسلام، ديوان المطبوعات، الجزائر، ١٩٩٣م.
- وقفة مع الفلسفة الغربية، ط، المنار، صنعاء ١٩٩٦م.
- مشكلة الموت بين الفلسفة والدين، ط، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- أبو الهذيل العلاف وآراؤه الكلامية والفلسفية، مطبعة الأمل، صنعاء، ١٩٩٨م.
- شهداء الفكر في الإسلام، ط، دار الهدى، الجزائر، ١٩٩٩، ط٢، مطبعة الأمل صنعاء – ٢٠٠٠م.
- نشأة علم الكلام وأهدافه، مطبعة الأمل، صنعاء، ٢٠٠٠م.
- المقبلي وآراؤه الكلامية، ط١، مطبعة الأمجاد، صنعاء (١٤٢١هـ- ٢٠٠٠)، ط٢، مركز الدراسات والبحوث اليمنى، صنعاء، ٢٠٠١م.
- قراءة في فكر الشيخ مصطفى عبد الرازق، مطبعة الأمجاد، صنعاء (١٤٢٢هـ-٢٠٠١).
- أبو سليمان السجستاني، سيرته العلمية وآراؤه الفلسفية، دار القلم، دبى، الإمارات العربية، (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧).
- عمرو بن عبيد وأصوله الخمسة، ط، مكتبة الأنفال، مسقط، ٢٠٠٧م.
- ابن السيد البطليوسي، وآراؤه الفلسفية والكلامية، مؤسسة ابن عمير، مسقط، ٢٠٠٨
- الاستشراق والتنصير رؤية موضوعية، مطبعة الضامري، مسقط، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠.

الأبحاث المنشورة:

- جمال الدين الأفغاني رائد التنوير، مجلة الموافقات، العدد ٢، يصدرها المعهد العالي لأصول الدين جامعة الجزائر، ١٩٩٢م.
- الحرية الإنسانية عند العلاف، مجلة جرش، العدد الأول، الأردن، ديسمبر، ١٩٩٧م.

obeikandl.com

- القديس أوغسطين وفلسفته، مجلة كلية الآداب، العدد ٢١، جامعة صنعاء، ١٩٩٨م.
- حياة العلاف ومؤلفاته، مجلة دراسات يمنية، العدد ٥٧، مركز الدراسات والبحوث اليمنى، صنعاء، ١٩٩٩م.
- منهج للحوار بين اتجاهات الفكر الإسلامي، مجلة منبر الحوار، العدد ٣٩، بيروت، صيف وخريف ١٩٩٩م.
- موقف أبى سليمان السجستاني من علوم عصره، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد ١٧، العدد الأول، تصدرها جامعة اليرموك، مارس ٢٠٠١م.
- حياة أبى سليمان السجستاني ومنهجه، مجلة المنارة، تصدرها جامعة آل البيت الأردن ٢٠٠١م.
- خلق العالم عند أبى الهذيل العلاف، مجلة البلقاء للبحوث والدراسات، تصدرها جامعة عمان الأهلية، الأردن، المجلد ٨، العدد ٢، تشرين الأول، ٢٠٠١م.
- اشترك في موسوعة أعلام فلاسفة العرب، إشراف د/ عاطف العراقي، وصدرت الموسوعة عن دار لونجمان، القاهرة.
- اشترك في موسوعة علماء العرب والمسلمين، تصدرها المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم، تونس.

قيد الطبع:

- الفلسفة الطبيعية عند الإمام أحمد بن يحيى المرتضى، قيد النشر لدى مركز الدراسات والبحوث اليمنى، صنعاء.
- هوامش على السيرة الذاتية للدكتور عبد الرحمن بدوى.
- تجديد الخطاب الديني، بين الواقع والمأمول.

***

obeikandl.com